



مركز القدس للدراسات السياسية
AL - QUDS CENTER For Political Studies

ورقة عمل:

الدور الروسي في سوريا.

د. عمارقناة

أستاذ العلوم السياسية في جامعة سيفاستوبل

ندوة حوارية:

السياسة الروسية في سورية

15 تموز/ يوليو 2017

الدور الروسي في سوريا

هناك شكوك ومغالطات حول الدور الروسي في الشرق الأوسط. فهل هذا الدور عارض وينتهي إلى زوال؟ هل يحمل طابعاً عسكرياً أم سياسياً أم جيوسياسياً؟ لقد اختلط تقييم الدور الروسي ليس فقط على العامة وإنما كذلك على المحللين.

• الأهداف الروسية في الشرق الأوسط

المنظومة الدولية بدأت في التغيير من الأحادية إلى التعددية، وخلال عملية الانتقال وقع تضارب في المصالح العسكرية في الشرق الأوسط الذي كان دائماً مسرحاً للعمليات الجيوسياسية.

عندما بدأ التدخل الروسي، كانت المعارضة للنظام السوري قوية، وهذا أعاد إلى الأذهان حكاية مستنقع أفغانستان، لكن الأمور تغيرت، وباتت هناك معطيات وإنجازات على أرض الواقع.

فقبل التدخل الروسي، كانت هناك تفاعلات غير إيجابية، ومواقف إقليمية متناقضة تبتعد كلها عن الحل السياسي. وعندما طُرح التدخل الروسي، فقد كان الهدف منه هو محاربة الإرهاب الدولي. فقد شكّل الإرهاب لروسيا أزمات سياسية وعسكرية خلال مرحلتين في الشيشان. وروسيا تعرف جيداً ما تواجهه على صعيد الإرهاب، إذ إن من بين المسلحين والإرهابيين الأجانب في سوريا، آلاف يحملون الجنسية الروسية. وتعاني روسيا منذ أكثر من سنة من قيام هؤلاء بعمليات إرهابية في روسيا.

ويشكل دخول الشرق الأوسط سياسياً، الهدف الثاني للدخول الروسي إلى روسيا. فمنذ العام 2004، هناك معالم تغير في السياسة الخارجية الروسية، وهذا ما أعلنه الرئيس الروسي بوتين.

• تطو الأزمات وتعدد القوى في الشرق الأوسط

كانت الولايات المتحدة هي التي تتولى تفعيل المنظمات الأممية. وخلال الأزمة السورية، لعبت روسيا الدور المناط بها في مجلس الأمن، وأقدمت للمرة الأولى بعد انهيار الاتحاد السوفييتي على اتخاذ قرار بـ "الفيتو".

لقد مرّ الشرق الأوسط في أكثر من مرحلة في أزمت إقليمية كانعكاس للمسألة الفلسطينية وتوازنات المنظومة الدولية. وكانت الولايات المتحدة هي راعية عملية الاستقرار في الشرق الأوسط منذ الحرب العالمية الثانية. وخلال مرحلة القطبين التي ميّزت المنظومة الدولية، كان الشرق الأوسط يقع تحت الهيمنة الأمريكية، فيما كان الاتحاد السوفييتي يتمتع ببعض مواقع النفوذ.

مرحلة الربيع العربي أثارت تساؤلات عديدة حول الأسباب؛ فهل الربيع العربي مشروع أمريكي، أم هو تعبير عن تفاعلات شعبية محلية حقيقية؟ قد يكون الوصول إلى جواب حاسم صعباً، لذلك يمكن التعامل مع النتائج. فقد رأينا في الموضوع الليبي تدخلاً عسكرياً دولياً من طرف سياسي معين، ونرى النتيجة اليوم في وجود المليشيات المحلية المتحاربة. ويمكن اعتبار ذلك عنصراً دافعاً لروسيا للتدخل في سوريا لحماية الدولة السورية لا لحماية النظام السوري.

الطرف الأمريكي يخرج جزئياً من المعادلة الشرق أوسطية. وتم العمل في المقابل على مشروع تركي يستهدف إقامة "تركيا العظمى"، وكانت هناك مراهنة على تركيا لتحل محل النفوذ الأمريكي، لكن في المحصلة لم يفض ذلك إلى تحقيق النتائج المرجوة.

الطرف الإيراني برغم ما لنا عليه من تحفظات، إلا أنه طرف فاعل. ولا يمكن إغفال أن إيران طرف مؤثر، فهي شريك لروسيا في العملية الجارية. والإيرانيون لديهم مشروع متكامل، لكن الروس حجموا الدور الإيراني.

الأطراف المختلفة تشابكت واختلطت أوراقها في سوريا بما في ذلك السعودية وتركيا. والآثار الاستراتيجية لهذا التشابك تذهب باتجاه دمار سوريا، وتبديد إمكانية الاستقرار لسنوات طويلة قادمة. وفي ظل هذا الوضع، فإن مصلحة روسيا هو تأمين استقرار الشرق الأوسط. وهناك تقارب ثقافي وديني لروسيا في المنطقة. وربما ينظر البعض لروسيا باعتبارها اتحاد السوفييتي السابق وكنوع من الحنين للشيوعية.

الأزمة الخليجية، يتم التعاطي معها باعتبارها أزمة خارجية بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط، لكن في حقيقة الأمر، هي نتيجة للأزمة السورية.

• العلاقة الروسية الأمريكية

توتر العلاقات الأمريكية الروسية أصبح حقيقة واقعة. فلم يكن لدى الأمريكان رغبة في رؤية روسيا تحل في المنطقة. وفي شتى الأحوال هناك تخبط سياسي إقليمي. وعليه يمكن النظر إلى سوريا ليس فقط من خلال روسيا، بل كذلك من خلال أوروبا والولايات المتحدة.

والمشكلة ليست في الولايات المتحدة ككل، إنما تكمن المشكلة في المنظومة الأمريكية من حيث عدم القدرة على اتخاذ قرار سياسي موحد، فهناك ثلاثة مراكز مؤثرة في جانب اتخاذ القرار، هي: الإدارة، البنتاغون، الخارجية. وتظهر تجليات الأزمة الأمريكية ليس فقط في سوريا، بل كذلك في دور الولايات المتحدة في المعادلة الدولية والمعادلة الأوروبية.

روسيا كانت منذ بداية الأزمة في سوريا تريد أن يكون الحل "سوري-سوري"، أما استخدام السلاح، فقد كان ضد التنظيمات المسلحة، وروسيا خبروا هؤلاء في أفغانستان، ثم وجدوهم أمامهم في الشيشان، وهم أنفسهم الآن في سوريا.

• الخطوات الروسية القادمة

تعتمد السياسة الروسية رهنًا على تفعيل المنظومة الدولية، وقد تعاطت روسيا مع ازدواجية المعايير الغربية، من خلال الجانب القيمي. فمنذ إعلان الموقف الروسي، لم يتغير أي موقف من مواقفها، لكن مواقف أمريكا وأوروبا كانت دائمة التبدل.

اليوم، لا يوجد مشاريع أو خريطة مستقبلية للحل السياسي. ففيما يخص الولايات المتحدة، فإن لديها الكثير من الصعوبات الداخلية والخارجية، وقد أدى ذلك إلى أن تكون المنظومة الأمريكية غير مفهومة بالنسبة لنا. وقد شكّل عدم وجود رؤية مستقبلية للحل إلى تناقضات. وفضل المشاريع الإقليمية والدولية يدعور روسيا إلى تعزيز حضورها في المنطقة.

نحن الآن في الأردن أمام معادلة جديدة، فإما أن نكون جزءاً من المعادلة، وإلا سنكون خارجها. لذلك اليوم ما تحقق من إنجاز على صعيد وقف إطلاق النار في جنوب سوريا مهم، فهو يحقن الدماء وهذا هدف أسمى.

التحديات الأمريكية كثيرة. لكن قصف مطار الشعيرات ما هو إلا رسالة موجهة للداخل الأمريكي بأن الرئيس ترمب يعيد إحياء الدور الأمريكي.

الآن مطلوب قراءة جديدة لما يحدث. فالشرق الأوسط مقدم على عملية تشاركية. ولذا فإن عدم رؤية الدور الروسي يمثل جزءاً من الغباء السياسي. وقد مُس هذا في جنيف 1. ونحن أمام جنيف 9. وإيران لم تشارك في جنيف 1. إنه لا يمكن التعامل مع السياسة بشكل وجداني وعاطفي. ومن لا يعمل على توظيف التطورات إيجابياً لصالحه يخسر. وروسيا لديها خبرة في تسوية النزاعات. وهناك قوة لدى الدبلوماسية الروسية.

• الدور الاردني في الأزمة السورية

الأردن طرف في المعادلة. ومنذ البدايات حينما يتحدث وزير خارجية روسيا عن سوريا، فإنه يذكر الأردن ولا يتجاهله. والأردن يعاني اليوم اقتصادياً، فهو محاصر وحدوده مغلقة. وعندما يحين أوان استقرار المنظومة السورية، فإنه سيتم تحريك عملية التبادل التجاري مع سوريا، وسيكون دور للأردن في إعمار سوريا أيضاً. الدور الأردني مطلوب من قبل السياسة الروسية. والكرة في الملعب الأردني. فالأردن يمكن أن يعمل مع الإدارة السورية للمساعدة في الدخول إلى الحل السلمي للملف السوري. وهناك ملف الإرهاب في الرقة، لكن لا يوجد تصور لما بعد الرقة.

مسألة اللاجئين تهم الأردن. هم ضيوف على الأردن، صحيح، لكنهم يشكلون عبئاً، ولذا الأردن معني أكثر من غيره بعودتهم إلى بلادهم.

الحل القادم في سوريا سيكون سياسياً، وليس عسكرياً، وجميع الأطراف الإقليمية معنية بتسوية الأزمة السورية، وهذا يتطلب توضيحات سياسية ومادية. ويقوم مستقبل الشرق الأوسط على ثلاث معادلات: المعادلة النفطية ومركز ثقلها الخليج، والمعادلة النووية وتعلق بإيران وجزئياً إسرائيل، والمعادلة المائية وتعلق بتركيا.